

mohamed\_saggar@yahoo.fr

( )

.

.

.

( )

.

.



( )

!

■

## من الحقوق المغيبة (الجزء الثاني)

د. فوز النعيمي

مازلنا مع الدكتور محمد شحرور في معالجته لوضع المرأة في عالمنا الإسلامي "أمة النص القرآني". قبل الدخول في الموضوع لابد من الإشارة إلى أمر مهم هو قدرة الأعراف والمفاهيم الاجتماعية على الوقوف في وجه النص الألهي أحياناً وبهذا تُهضم حقوق المرأة تحت سمع وبصر العلماء والفقهاء لاغين الخبر المفيد الذي يكمن في تضاعيف وحنايا مفردة النص القرآني الذي يجب عليهم أن يضعوه نصب أعينهم وضمانهم، فحين يصف تعالى القرآن بأنه عربي لايعني حصراً أنه باللغة العربية بقدر ما يعني أنه واضحٌ معربٌ مبينٌ بليغ، وحين يصفه بأنه ليس شعراً فهو إنما ينبهنا إلى عدم أخذه وفهمه كما نأخذ الشعر ونفهمه، وحين يصف رسوله الكريم بأنه ليس شاعراً فهو يعني بأنه ليس خيالياً ولا طوباوياً بل هو واقعي لا يخرج عن قوانين الوجود المشهود لا في الشكل ولا في المضمون وعلينا ألا نتعامل معه كما نتعامل مع مؤلفي المعلقات والأراجيز. إن اختيار المفردات القرآنية الذي اعتمده التنزيل يرفض "الترادف" ويبحث عن المصادقية وينطلق من حتمية وجود خبر مفيد لكل مفردة لا يحتمل التأويل وينفي الحشوية والزيادة، فالخالق سبحانه لا تعوزه البلاغة كي يأتي بمفردات مختلفة للدلالة على مفهوم واحد. لايمكن إنكار الأعجاز اللغوي في التنزيل فهو موجود وقائم شرحه الكثيرون بالتفصيل، إلا أن ثمة إعجازا في دقة المضمون وواقعيته وفائدته أكبر كثيراً من ذلك الأعجاز اللغوي الشكلي الذي اقتصر المفسرون على التعني به على مدى القرون الماضية والذي هو سبب ما نحن فيه من تأخر ومشاكل. أشرنا في الحلقة السابقة أن النص القرآني يعتمد العقل والمنطق، والمنطق هو الرياضيات، والأسلام دين العقل والمنطق.

بعد هذا كله نأتي إلى التعددية الزوجية. يقول تعالى "وأتوا اليتامي أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوباً كبيراً، وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا" النساء2-3، هذه هي الآية التي يستند إليها الفقهاء في تجويز زواج الرجل بأربعة عدا ملك اليمين. الملاحظ أن الآية الثانية معطوفة على الأولى بشكل لا لبس فيه، وإن المعنى فيها محصور باليتامي كما نلاحظ أن الله سبحانه استعمل "إن" في مطلع الآية الثانية، وهي أداة شرط احتمالية أي: إن لم يتحقق شرط الخوف من الأفساط إلى اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء وإن تحقق الخوف فلا. بمعنى آخر أن هذه الآية جاءت لتحل مشكلة اجتماعية إنسانية هي مشكلة اليتامي في حالة الخوف من عدم الأفساط إليهم حصراً ولا علاقة لها كما يذهب الفقهاء لا بزوجة مريضة ولا بأخرى عاقر ولا برغبة في الأنجاب. يقول تعالى: "إن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي" واليتامي جمع يتيم، واليتيم فاقد الأب أما فاقد الأم فهو اللطيم، وأما فاقد الأبوين فهو العجي، فاليتيم هو فاقد الأب وأمه موجودة وأرملة، وإلا لأصبح عجياً. وهؤلاء الأيتام الذين فقدوا الأب معيل الأسرة نحن مأمورون بالأفساط إليهم وهو ما يُعرف اليوم بـ "التكافل الاجتماعي"، والقسط هو البر والصلة والرعاية من طرفٍ إلى طرف، وهو غير العدل الذي يكون بين طرفين. قال تعالى: "وأوفوا الكيل والميزان بالقسط" وهذا يعني أن يكون طرف الميزان دائماً لمصلحة الشاري، لكنه قال: "وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل" أي دون ميلٍ إلى جانبٍ دون جانب. فإن خفنا ألا نستطيع بحكم الأوضاع الاجتماعية أو غيرها، أن نبرهم ونحسن إليهم؟؟ جاء الجواب في الآية بهذه الحالة بالزواج من أمهاتهم الأرامل، والهدف بر الأيتام والأحسان إليهم. لكن قد ينتج عن هذا الوضع الجديد عدم التمكن من العدل بين الأيتام الذين يأتي بهم الزواج بأمهاتهم وبين أولاد الرجال من أصلابهم،

فجاء القول بالآية ليحل هذه المشكلة: "وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة"، أي إقتصروا على الزواج من أرملة واحدة فقط، وضموا أيتامها إلى أولادكم لتستطيعوا أن تعدلوا بينهم جميعاً، وهذا الحل سوف يجنبكم أن تعولوا التعددية الزوجية إذاً كما رأينا في الآيات حلّ لمشكلة اجتماعية يُخشى من حدوثها، هذه المشكلة هي إهمال الأيتام وانعدام البر بهم والأحسان اليهم، إن حصلت فلها الحل وإن لم تحصل فيها ونعمت. وقد يقول قائل إن التعددية الزوجية قد مورست في العصر النبوي وفيما بعده فهل هذا حرام؟ الجواب أن من الطبيعي أن يمارس الناس التعددية في عصر لم تكن فيه إدارة ولا دور للأيتام، أما التعددية ذاتها فهي لا تدخل في باب الحلال والحرام بل في باب المنع والسماح وسبحانه يعبر عن ذلك في الآية بـ "الأداة" "إن" التي يحتمل ما بعدها الوقوع وعدم الوقوع ويربط جواب الشرط "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" بفعل الشرط وجوباً "وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى" بل أننا نفهم من الآية أكثر من ذلك، نفهم منها أننا في ضوء توفر دور الأيتام والرعاية والأحسان اليهم تنتفي الحاجة للتعددية الزوجية. وملخص القول أن الله سبحانه وتعالى لو كان يعني "النساء اليتيمات" لجاء باللفظ واضحاً دون الحاجة إلى قول "يتامى النساء" أي أولادهن اليتامى وهذا ما ندعو اليه لتناول المفردة القرآنية بتدبر بعيداً عن الأجتهدات المزاجية الذكورية إذ لا يمكن أن ننسب للحكيم العليم سبحانه مثل هذا الخلط الذي لا يصدر إلا عن ضيق أفق وقصور فهم.

المصدر: الكتاب والقرآن: د. محمد شحرور

## حقائق و اعترافات حول ( اغتيال البراعة)...

يطلق عليها باللهجة المصرية (الطهارة) و بالعربي الفصيح (الختان)... اما بالعربي الصريح فاللاحق ان تسمى (الذبح)، والا كيف نصف عملية تشويه نفسي وجسدي تمارس على الفتاة وهي ما زالت زهرة تتفتح للحياة، لتفاجئ بقطعة (موس) تنتهك ادميتها وانوثتها مسببة جرح يلزمها مدى الحياة؟!

هذه الافة تنتشر في مصر والسودان من بين الدول العربية. ان الرقم المذكور وفقا لآخر مسح ديموغرافي جرى في مصر عام1995 والذي يؤكد ان نسبة الختان تصل الى 97% وانتشاره في المناطق الحضرية وعلى رأسها القاهرة بنسبة 90%! لعل اول تساؤل يقفز الى الاذهان لماذا نجحت الدولة المصرية في خفض معدل النمو السكاني و لم تتجح في خفض معدلات ختان الاناث؟ لماذا لم تعط اهمية للختان تماثل ما اعطته لتنظيم الاسرة؟ الاجابة المنطقية هي نوع من الانتقائية تمارسها الدولة في قضايا المرأة. لم تدخل الدولة الا بشكل محدود في اي معركة حقيقية على الصعيد الاجتماعي الا بالقدر الذي تمليه الاحتياجات الاقتصادية الملحة.. الختان ليس له عائد اقتصادي، ولم تتخذ الدولة موقفا جذريا لمحاربة هذه الافة طالما لم تكن هناك حاجة ملحة للتصادم مع القيم الاجتماعية و الدينية السائدة التي يعكسها الختان.

اوائل الستينيات لم يمنع القرار الصادر من وزارة الصحة الختان، انما سعى لتصحيح الطريقة التي يتم بها. سمح للطباء باجراء الختان في العيادات وحظر اجراؤه خارجها من قبل السيدات والحلاقين! وهذا لم يزل الضرر النفسي والصحي لهذه الممارسة! كما ثبتت سياسة السماح باجراء النمط (الاخف) او محاولة حصرها في شروط محددة، فشلتها في محاربة هذه الافة.

اشتعل النقاش ليتحول الى قضية رأي عام في سنوات1994 و 1995خلال مؤتمر الامم المتحدة للسكان والتنمية الذي اقيم في مصر ومؤتمر المرأة في بكين. بثت قناة CNN فيلماً يصور اجراء عملية ختان وحشية لطفلة مصرية. مرة اخرى صدرت قرارات وزارية اتسمت بسياسة (مسك العصا من الوسط) دون وضع حلول صارمة للقضاء على الظاهرة، ايضا تجنبنا للدخول في مواجهات – هي في غنى عنها- مع المؤسسات الدينية.

لم تتقطع المناظرات الساخنة بين التيارات الاسلامية المحافظة والقوى المنادية بحقوق المرأة حول اضعاف صبغة دينية اسلامية على الختان رغم عدم وجود نص في الكتب السماوية يحض على ختان الاناث. يبدو ان هذه التيارات تريد اثاره ما سبق حسمه من كبار علماء الدين والازهر الذي افتى ان ختان الاناث ليس من الاسلام (الشيخ محمد رشيد رضا عام 1904- الشيخ محمد شلتوت في الخمسينيات- الشيخ عبد الرحمن النجار عام 1985) ومن الثابت ايضا ان ختان الاناث يمارس في مصر باعتباره تقليدا و ليس امرا دينيا ذلك ان ممارسته تنتشر بين المسلمين و المسيحيين على حد سواء.

حملت هذه الخلفية الرسمية والدينية في رحلة مع عضوات احدى الجمعيات المهمة بقضايا المرأة الى بعض قرى مصر لرؤية الظاهرة واقعيا... كانت النساء اللاتي يقتنعن بعدم ختان بناتهن يطلبن تنظيم حلقات توعية لزوجهن لانهم مصرورن على اجراء الختان للبنات، مما يؤكد ان الختان ليس قراراً نسائياً كما هو شائع بل هو قرار رجالي يترك للنساء القيام به، فان تخلين عنه تصدى له الرجال. الملاحظة الثانية التي خرجت بها كشفت بعدا نفسيا يمس علاقة الزوج بالزوجة.. اذ يزداد ميل الأزواج الى معارضة الختان حين تبوح لهم زوجاتهم بالذكريات الاليمة عن تجربة ختانهن، و يزداد تاييد الظاهرة بين من لم تبج لهم زوجاتهم. وهو ما يؤكد اهمية كسر حاجز الصمت

وتشجيع النساء على البوح بادق التفاصيل لألمهن من قسوة العملية لذويهن، سواء لمن تسببوا في هذا الألم مثل الوالدين او للزواج.

البعد الديني لا يمثل المعتقد الوحيد الخاطئ حول هذه الجريمة.. حتى الاسم المطلق عليها (الطهارة) يوحي بمضامين اخلاقية.. فالفتاة المختنة هي فتاة طاهرة نقية! لان الختان كما هو شائع خطأ يقلل من الرغبة الجنسية للفتاة وبالتالي يضمن المجتمع عدم انزلاقها الى الممارسات الجنسية و يحافظ على عذريتها قبل الزواج، كما يضمن عدم انزلاقها الى ممارسات جنسية خارج اطار الرابطة الزوجية.. وهو معتقد كذبتة الحقائق الطبية ودراسات علم النفس. اذ ثبت عدم وجود علاقة بين عملية التشويه الجسدي والنفسى وبين الشهوة الجنسية.

نسبة كبيرة بين سكان هذه القرى ما زالت تحت تأثير ارتباط البعد الديني بظاهرة الختان، حيث طلبت منا النساء التأكيد على رجال الدين في القرى اعلان موقفهم من رفض ختان بناتهم مما سيردع ايضا السيدات والحلاقين عن القيام بهذه الممارسة. احدى السيدات التي تجري عمليات الختان ذكرت لي (كل ما واحد يطلب مني اطهر بنته اقول لهم اسالوا شيخ الجامع اذا وافق انا مستعدة).

اغلب اسباب الختان التي سمعتها تراوحت بين (سلو بلدنا) اي عاداتنا او النظافة او العفة، وهي تتلخص في حماية الفتاة بعد البلوغ من انفلات قدرتها الجنسية الكامنة اثناء الطفولة وزيادة فرص الزواج امام الفتيات باعتبار الختان هو احد الشروط المتوقعة في الزوجة، ورغبة الفتيات في الانتماء الى المجتمع الذي تعشن فيه. اما متوسط اعمار الفتيات اللاتي تعرضن لهذه العملية فقد تراوح بين الثامنة و الثانية عشر.

مجموعة نساء اشتكين لنا من تعنت ازواجهن في الموافقة على حضور حلقات التوعية التي تقيمها الجمعيات النسائية (رجالتنا مش بتخلينا نروح وبيعملوا مشاكل كل ما نحضر ونتعلم و يحاولوا يمنعونا) - اثناء احدى اللقاءات فوجئت برجل ينهر احدى عضوات الجمعية صارخا بها (عيب عليكى تقولي الكلام ده.. انت ست كبيرة.. يعني عايزه بناتنا يكبروا مش مطهرين!) ردود فعل الفتيات جاءت بتلقائية (احنا بياخذونا اطفال مش فاهمين حاجة و بعدين ينتهكوا البراءة جوانا بعد ما يفتحوا رجلينا بالعافية وبعدين نحس بالم فطيع ما يتوصفش حتى ان كثيرات منا اغمى عليهن من الصدمة وبعض الفتيات تعرضن لازمة قلبية بسبب الصدمة.. وبعدين يعالجوا النزيف و يرشوا عليه رماد من الفرن و ده يزيد الألم!) بكل اعجاب سمعت شهادة القروية (نادية) عن معاناتها نتيجة اصرارها على موقفها(اختي مش مطهرة و اتجوزت ومبسوطة، امي يوم عرسها خافت يمكن جوزها يتضايق منها.. كانت قلقانة جدا و اتعاركت معايا لاني صممت ان اختي متطهرش.. كمان حرصت كل صاحباتي علشان يرفضوا يطهروا بناتهم واخواتهم لكن امهاتهم بيتعاركوا معايا).

اخيرا رغم بعض اللقطات المضيئة المحدودة جدا التي لمستها..الا ان الممارسة موجودة .. تحطم حياة 97% من نساء مصر يوميا.. طالما اتبعت الدولة السياسة (المستكينة) او (المهادنة) في تعاملها مع هذه الممارسة.

**لينا مظلوم / صحافية عراقية- مصر**

( ) (41)  
(188)

\* -

(1)

1959 (188)

2003/4/9

(41) -

-

)

.( ....  
) (41)

.(

.  
 :  
 : /  
 .( )  
 ..  
 .( )  
 .  
 ( )  
 :

)

/

:(

)

.(

)

:

/

(

:

/

: /

(41)

- -

(188)

.( ) .

\*\*\*\*

(\*)

[fbabakhan@yahoo.com](mailto:fbabakhan@yahoo.com)